



مفكرة

سلاماً أيها الشرق

حسين أبو النمل



الغرفة الحميمة جداً، ما زالت مكانها تطل على الشرق، لتتواضع غرقتي، إنها في رحاب الشرق، والمجد لمن موقعه الشرق. المجد له فصنيعة أما شمساً بكر، أو فمر بدر. أحببت الشرق ولكنني لم اكن لأعلم ماذا يعني الشرق. كنت على وهم طفولي يقول، الشرق هو الاتجاه الذي تشرق منه الشمس، على قاعدة، أنه ثمة اتجاهات أربع، وان كان البعض يعقدها، فبرقع العدد كما يشاء! قضيت عمراً، لاكتشف مصادفة، ان اتجاه الشرق ليس واحداً في كل البلدان، فالشرق في بعض بلاد الغرب هو حيث تشرق الشمس، ولكن شرقنا شرق آخر، إنه حيث تعني الكلمة بالضبط، معناها الحرفي، الفرغية لا يسمون بلاد الـ « إيست » بل الـ « أورينت ». سألت عن الفرق، فكان الجواب الأثرى تعني الشرق، اما الثانية فتعني « المكان الذي تتبع منه الشمس ».

أي مجد لنا. لكل شرقه، ولنا وحدنا نبع الشمس. وفي رحاب النبع، الغرفة الحميمة جداً، الفوضى المنظمة، كتب خضرة، وأشباح لا حصر لها، تتراحم لمجاستي مع نهايات الليل وديك الجيران يصرخ بعيداً، ولكن بصوت مسموع: أيها الرجل، يا أيها الرجل، يا... لقد تأخر الوقت فاذهبوا لزواجكم.

... كم هو مسكين الديك، الرجل / الرجال يصمون آذانهم إحتقاراً لجهله، ان أعظم حب هو حب رجل لرجل، هو علاقة كبرياء، ورجولة. نعم ان اعظم علاقة حب هي علاقة كبرياء ورجولة وتحقيق ذات. خلاص ذاتي. جمل، شعارات، كلمات، لكنها لا تنتمي للوعي الزائف، ولعصر خيانة العقل وتعهر الكلمة. نحن لا نحقق ذاتنا، لا نحقق خلاصاً ذاتياً إلا عبر الآخرين، إذ:

تأني الرجولة ان تمد جسمونا جسراً فقل لرفاقنا أن يعبروا

... عروني قائل هذا الكلام... والبعض يرى في العروبة عاراً.

ذلك البعض يخلط بين ابن ملجم، وعلي، وليعذرني من يقرأني. « علي » إني آسف، فالخيانة تتقدم على الوفاء، فقدمت على إسمك بن ملجم، ولكنك الأول، انت الحقيقة، وما عداك هم الاغتيال.

... علي، سيدي، اعذرني فانا أعجز من ان اقدم على اسمك حتى لفظ الاحترام، انت تبعث فينا، نحن من خسرننا كل المعارك، ولم نخسر الحرب. « علي » سيدي، خسرننا كل المعارك ولم نركع. الخنجر في الجسد لكننا نبقي السيف مشرقاً، يلمع مؤكداً الحقيقة.. والحقيقة لا تموت

سيدي الامام أشكرك:

يهودا بال عليه التاريخ، وابن ملجم كان العروبة المضادة، واما نحن فكما انت، قضيت لتبقى قضية، لا يهمننا ان نموت ان نموت على أمل ان ينتصر السيف على الخنجر... سيدي الامام إسمح لي ان اترجم مقولاتك للغة العصر:

السيف هو الثورة، والخنجر هو الثورة المضادة. سيدي الامام أشكرك لأنك العروبة، وابن ملجم كان العروبة المضادة. أشكرك، لانك الصفحة البيضاء وابن ملجم

مجرد النقطة البيضاء.

علي... اعرف إنك غاضب مني، لاني إدعيت، حين قلت إنك تبعث فينا. ومن نحن فنأخذ دور علي، ونبعث فينا؟ ثمة فرق بين، هائل، فانا المدعور من أحدث طبعة للخنجر، كاتم الصوت، واما علي فكان أكثر ايماناً وألها من ان يسمح ليديه ان تقطع الايمان، ان تخرب السجود، فقل للخنجر لا.

علي أي مجد لك، ايها الرجل الذي لم تسمح لحياتك ان تكون ثمناً لروحك.

كل الخلفاء ماتوا. كل السلطات إندرت. أما انت يا علي. فحي، انك حاضر لتعلمنا الكرامة، الفروسية، الايمان، وان لا تقطع السجود حتى لو كان الخنجر يتسلل لاغتتيال الجسد.

علي، آن الآوان، نعم آن الآوان ان تخرج عن صمتك وتقول لكل الاغبياء من ورتك: الموت حق، والشريف من هو جدير بأرث علي، هو ليس من يورث ملكاً، بل من يترك قضية.

علي، اخرج عن صمتك، لتنبأ الجهلة من ورتك: أن عليا الخليفة لا شيء، وان عليا الامام هو كل شيء.

علي افي اعرف إنك أكثر رسوخاً من ان تتدخل في شؤون تفصيلية، ولكن على الأقل انك لتستطيع أن ترسل لنا الشيوعي المسلم المجنون: أبا ذر الغفاري.

أبو ذر ليس علي، إنه يملك عظمة الأله، وليس بأله. أبو ذر هو علي الانسان، الأكثر أكثر تحديداً وامانه، أبو ذر هو ذلك الذي أحب الفقراء أكثر من المؤمنين. أبو ذر شخص مطلوب من كل الممالك: أبو ذر مشبه / مطلوب أبدي، « التهمة » تحريض الفقراء على حمل السلاح.

... المجد للسلاح. المجد لسيف علي يشرق من بطن التاريخ، يلمع، يمر كالشهاب، يترك رسالة تقول: إحدروا تجار مكة، تجار مكة هم الخنجر، احترموا قبل أن تحرصوا على السيف، لا تورثوا إمتكم سلطة، السلطة جميلة، ولكن الاجمل ان تورثوها قضية. علي كان الخليفة الرابع، لكنه كان الامام الأول.

الغرفة الحميمة جداً، ما زالت مكانها إنها في رحاب الشرق. شرقنا حيث تنبع الشمس. الياسمينية ما زالت مكانها، لكنها أصيبت بالغيرة من الورد، لذا فالوالموسم جميل. الياسمين، الورد كثير ولكن الشباك وبرغم كانون الثاني يفتح فجأة: الياسمينية، الورد تظل احتجاجاً، تصرخ: نحن لا نعطي غيرة، بل حباً.

... وللشرق سلاماً. ومن الشرق تتبع الشمس. والرفاق هم الشمس.

... اعتذر، إنهم ليسوا الشمس. إنهم الشرق، حيث تنبع الشمس، ولدا:

لرفاق سلاماً.. وزهرة. ووفاءً.